

العمال وطالة النهضة الاصيلة

أيها الرفاق الاعزاء^(١)

هي الفرحة الدائمة المستمرة المتجددة عند كل لقاء بالمناضلين، ولهذا القطر الحبيب الناهض فرصة تنمو وتعمق مع تنامي نهضة هذا القطر وتعمقها في نفوس أبناء الشعب، هي حالة أصبحت اليوم بديهية واضحة كل الوضوح مع جميع أبناء الشعب والكثيرين من الأخوة العرب وحتى لبعض الاجانب لأنها حالة نهضة أصيلة، نهضة شعبية عميقة وأصيلة وشاملة لكل جوانب الحياة، ولكن قُدر للبعض ان يروها قبل ذلك بسنين وربما منذ بدايتها، وأن يلمسوا ويشعروا بما هو كامن فيها وبالوعود التي تحتويها، لذلك عندما تتحقق الوعود وعندما تصدق التوقعات يشعر المرء بفرح مضاعف ويتأكد حدسه ويزداد ثقة بدور الحزب التاريخي وبدور الأمة وان نهضتها التاريخية الحديثة آتية لا ريب فيها.

بالنسبة لهذا القطاع المهم والاساسي من الشعب الذي هو العمال تعرفون ان الحزب أولاه ومنذ بداية نضاله وفي تصوره الفكري الأول المكان البارز وأعطاه خصوصية هي من خصوصية فكر البعث وحركة الثورة العربية ونهضة الأمة، بأننا منذ البداية لم ننظر الى الشعب نظرة مادية اقتصادية تقتصر على المصالح والمنافع وإن كنا لانقلل من أهمية هذه الناحية، الا اننا أرجعناها الى ما هو أعمق، الى انه هناك أمة، وأمة عظيمة تستيقظ وتعيد النظر في واقعها المريع وتبحث في داخلها وفي قوتها الذاتية وفي أصالتها وصلتها بماضيها المجيد ما يوفر لها القوة والقدرة على أن تثور على واقعها

(١) حديث مع أعضاء المكتب التنفيذي للاتحاد العام لتقابات العمال في القطر العراقي بتاريخ ١٢ / ٤ / ١٩٨٦.

وان تبني مجتمعها من جديد بناءً سليماً بشكل يمكنها من ان تتابع نضالها التحرري في مواجهة الأعداء، أعداء الامة وأعداء نهضتها المغتصبين، المغتصبين لأرضها ولثرواتها والمتآمرين على نهضتها ووحدتها، والادوات التي اصطنعوها في داخل الوطن العربي لكي تنفذ أغراض الاعداء في إعاقة نهضة الأمة. قلت بأن الأمة تحاول ان تتصدى لهؤلاء الاعداء ولمؤامراتهم وتتابع نضالها من أجل انتزاع حقوقها وتحرير أرضها وفي الوقت نفسه تبني مجتمعها وتعالج مواطن الضعف والمرض فيه وتحارب التخلف بكل صوره ومظاهره، وهذا هو قدرها وهذا هو تصور الحزب منذ البداية، بأن نبدع في النضال، بأن نبني ونحن نناضل.

فالقوة التي يهبها الانتباء القومي العميق والوعي لهذه المرحلة التي تجتازها الأمة، المرحلة التاريخية التي هي بين التخلف وبين التقدم والتي هي مرحلة فاصلة وتاريخية، هذه القوة هي أكبر بكثير وأعمق واشمل بكثير من القوة التي يستمدها العامل النقابي المناضل من مجرد انتبائه الطبقي، ولا اعتقد ان أحداً يستطيع ان يأخذ على حزب البعث أنه بهذه النظرة القومية العميقة والشاملة انتقص من حقوق الجماهير الشعبية الكادحة أو تغافل عنها أو قلل من شأنها أو ضحى بشيء منها، وأنه بهذه النظرة القومية كان ضحية لاستغلال الطبقات الطفيلية في المجتمع، فنظرة الحزب نظرة واضحة كل الوضوح يقظة كل اليقظة نظرة نقدية، نظرة شمولية، نظرة جدلية، لذلك لم يقع الحزب في شباك الطبقات المستغلة بحجة وحدة الشعب ووحدة الانتباء القومي، بل كان واضحاً منذ البداية بأن النهضة والظلم الاجتماعي ضدان لا يجتمعان، بأن النهضة وأكثرية الشعب الكادحة المحرومة المتخلفة ومسلوبة الحقوق ضدان لا يمكن ان يجتمعا. النهضة هي ان تتاح لكل مواطن عربي الفرص كاملة، والقدرات كاملة، والوسائل لتحقيق قدراته وشخصيته ومسؤوليته القومية ودوره في نهضة الأمة، ان توفرها له كاملة وعندها تصبح النهضة أمراً واقعاً.

أيها الرفاق

ارتحت لما سمعت من ان هذا الاتحاد له ماضٍ نضالي عريق يرجع الى خمسينات هذا القرن وان علاقته بالحزب كانت مبكرة وانه نيا وتطور مع نمو النضال الشعبي

الوطني والقومي ومع الثورات المتعاقبة في هذا القطر ومع ثورات الحزب، وهذا شيء مهم لأنه يشكل رصيماً من الوعي ومن الأخلاق النضالية، رصيماً من الوعي والتقاليد والأخلاق والضمانات، وله تجارب كثيرة وله خط متطور وصاعد في نضاله الفكري والعملية أوصله إلى التبنّي التام والكامل لمبادئ حزب البعث، أي إلى أن يصبح وبملاءمة الوعي جزءاً أساسياً من نهضة الشعب في القطر العراقي وجزءاً أساسياً من نهضة الأمة العربية من خلال ما يمثله العراق من مكانة كبيرة وأساسية في نهضة الأمة كانهضة التي يعيشها قطرنا العراقي العظيم، نهضة فريدة تتفجر فيها الابتكارات والمبادرات والبطولات بكل ميادين الحياة، في جبهات القتال، وفي المعامل، وفي المدارس، وفي شتى الميادين لأن شعوراً واحداً يلف هذا الشعب ويدفعه إلى التسابق في العطاء، وإلى التضامن والتكامل في النشاط، وإلى متابعة هذا الانجاز التاريخي الذي بدأه الحزب في هذا القطر، وإلى حمايته، إلى حماية هذا الانجاز والدفاع عنه إلى حد الاستبسال والاستشهاد، كل ذلك من منظور قومي ينظر إلى أوضاع الأمة ويعرف أن قدر العراق في هذه المرحلة التاريخية هو أن يكون طليعة نضالية مضحية تتقدم الصفوف وتشير إلى طريق النهضة لكي يستيقظ الضمير العربي، ولكي تتحرك الجماهير العربية وتتغلب على ما يعوق تحركها ونهوضها، ولكي تتعمم حالة النهوض، ولكم أيها الرفاق دور خاص و متميز في هذا المجال لأنكم تمثلون جماهير واسعة ولأنكم تلتقون في مناسبات كثيرة مع زملائكم من الاتحادات العربية، وبالرغم من كل مانعوه عن التزييف الحاصل في بعض الأقطار ومن التضييق على الحريات ولكنكم مؤهلون أكثر من أية فئة أخرى لكي تنقلوا صوت العراق، وصوت الحزب، وصوت المعركة، وحقيقة هذه المعركة إلى جماهيرنا العربية في أرجاء الوطن الكبير عن طريق زملائكم في النضال في الأقطار الأخرى، وحاولوا دوماً أن تنفذوا من خلال الهيئات إلى الجماهير الأوسع، وأن لا تنتظروا الدعوات بل أن تبادروا وتخلقوا الفرص والمبادرات، فهذا في مثل ظروفنا أمر حيوي وقضيتنا قضية عادلة وقد ازدادت مع الزمن ومع مرور السنين على هذه الحرب، ازدادت وضوحاً بشكل يسهل عليكم مهمة الأقتاع والأبصال دون أن أهمل الجانب الخارجي الدولي العالمي الذي هو أيضاً مجال من مجالاتكم في

المؤتمرات الدولية في العالم الثالث وفي العالم الاشتراكي . الاسلوب المؤثر والناجح هو بالحوار والتفاعل ، بأن نسمع من الآخرين ثم نسمعهم وجهة نظرنا ونحدثهم عن ظروفنا ، وأن نؤمن دوماً بأننا نستطيع ان نفيذ وأن نستفيد من كل تجربة اخرى ، كما اننا معتزون بتجربتنا واثقون من أن فيها مايفيد الآخرين .

انها فرصة سعيدة هذه التي أتاحت لي بأن ألتقي بالرفاق المناضلين الذين يحملون قسطاً كبيراً من مسؤولية هذا الوطن ، يضطلعون بها حق الاضطلاع فهم يقاتلون بكل معنى الكلمة ، يقدمون للوطن ولقضيته وللدفاع عن أرضه وكرامته وللدفاع عن الأمة ومستقبلها ، يقدمون أعلى مايملكون بهذه الروح المتأججة ، بهذا الوعي الشامل ، بهذا الاندماج بصميم الشعب وصميم قضيته ، فأنتم بذلك تعطون أروع وأصدق صورة عن نضال العمال عندما يكون الوطن في خطر ، وعندما تكون الأمة في مأزق تاريخي يتطلب من كل فرد من أفرادها البذل والتضحية قبل ان يطالبها بالأخذ والمنفعة ، بل يتوحد المناضل مع شعبه ومع أمته ويجد ان غاية حقوقه وغاية مصالحه تتلخص في عطائه وتضحيته ، وليس هذا من قبيل المثاليات بل التفكير العلمي الواقعي ، أذ عندما يسلم الوطن من الأخطار التي تهدده ، وعندما نشق طريق الخلاص للأمة من الحصار الذي يطوقها ، ومن المؤامرة الكبرى التي تحاك ضدها ، عندها تُنقذ فرصة المستقبل السعيد لابناء الشعب ، المستقبل الذي تتحقق فيه مبادئ العدل والمساواة والحرية والكرامة . وفقكم الله والسلام عليكم .

١٢ نيسان ١٩٨٦